جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بالمنوفية

الأُسْلُوبُ الْعُدُولِيُّ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَالْمُشْتَقَّاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الدكتور

عصام عبد المنصف أبو زيد

أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك بقسم اللغة العربية
كلية الآداب – جامعة الطائف

ملخص البحث

يَتَنَاوَلُ هذا الْبَحْثُ ظَاهِرَةَ الْعُدُولِ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَالْمُشْتَقَّاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيَهْدفُ إِلَى رَصْدِ مَوَاطِنِ الْعُدُولِ بين الْمَصْدَرِ والْمُشْتَقَّاتِ، وَمُحَاوَلَةِ الْوُصُولِ إِلَى الْأَسْرَارِ الدّلَالِيَّةِ لِهذا الْمَسْلَكِ الْعُدُولِيِّ، مُتَّبِعًا فِي ذَلِكَ الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ الْقَائِمَ عَلَى اسْتِقْرَاءِ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ وَمُحَاوَلَةِ تَحْلِيلِ بَعْضِهَا؛ بَحْثًا عَنِ الدّلالاتِ الْكَامِنَةِ وَالْمَلَامِحِ الْمُشِعَّةِ وَرَاءَ هذا الْعُدُولِ؛ لأَنَّهُ مَا مِنْ عُدُولٍ عَنْ صِيغَةٍ إِلَى أُخْرَى إِلَّا وَيَصْحَبُهُ عُدُولٌ عَنْ مَعْنًى إِلَى آخَرَ.

" الأُسْلُوبُ الْعُدُولِيُّ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَالْمُشْتَقَّاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ "

د. عصام عبد المنصف أبو زيد*

المُقَدِّمَةُ

اتَّسَمَتِ الْمَصَادِرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِتَعَدُّدِ اسْتِعْمَالَاتِهَا؛ فَقَدْ يُسْتَعْمَلُ بَعْضُهَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْحَدَثِ فقط، مُجَرَّدًا منَ الدّلَالَةِ عَلَى مَنْ قَامَ بِهِ، أَوْ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ، أَوْ زَمَنِ وُقُوعِهِ أَوْ مَكَانِهِ، وَهذا هو الْأَصْلُ الَّذِي وُضِعَتْ لَهُ الْمَصَادِرُ، وَيَسِيرُ عَلَيْهِ التَّعْبِيرُ الْمِثَالِيُّ الْمَأْلُوفُ الَّذِي أَقَرَّتْهُ أَنْظِمَةُ اللُّغَةِ، وَقَدْ يُعْدَلُ عَنْ هذا الْأَصْلِ وَتِلْكَ الدَّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ لِلْمَصَادِرِ إِلَى غَيْرِهَا، وَيَكُونُ هذا الْعُدُولُ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَأَحَدِ الْمُشْتَقَّاتِ: اسْمِ الْفَاعِلِ، أَو اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَوْ إِحْدَى صِيَغِ الْمُبَالَغَةِ،أَو الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ،أو اسْمِ التَّفْضِيلِ، وَعِنْدَئِذٍ يَنْحَى هذا الْأُسْلُوبُ الْعُدُولِيُّ مَنْحًى يَجْعَلُهُ ذَا كَفَاءَةٍ عَالِيَةٍ وَقُدْرَةٍ عَلَى الْعَطَاءِ الدّلَالِيِّ مِنْ خِلَالِ خَرْقِهِ لِلنَّسَقِ اللُّغَوِيِّ الْمَأْلُوفِ، وَكَسْرِهِ لِأُفُقِ التَّوَقُّعِ لَدَى الْمُتَلَقِّي.

وَيَهْدِفُ هذا الْبَحْثُ إِلَى رَصْدِ مَوَاطِنِ الْعُدُولِ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَالْمُشْتَقَّاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمُحَاوَلَةِ الْوُصُولِ إِلَى الْأَسْرَارِ الدّلَالِيَّةِ لِهذا الْمَسْلَكِ الْعُدُولِيِّ، مُتَّبِعًا فِي ذَلِكَ الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ الْقَائِمَ عَلَى اسْتِقْرَاءِ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ وَمُحَاوَلَةِ تَحْلِيلِ بَعْضِهَا؛ بَحْثًا عَنِ الدّلالاتِ الْكَامِنَةِ وَالْمَلَامِحِ الْمُشِعَّةِ وَرَاءَ هذا الْعُدُولِ.

---

* أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الطائف.

وَقَدْ وَقَعَ هذا الْبَحْثُ فِي خَمْسَةِ مَبَاحِثَ رَئِيسَةٍ، مَسْبُوقَةٍ بِمُقَدَّمَةٍ وَتَمْهِيدٍ، وَمُذَيَّلَةٍ بِثَبَتٍ يَضُمُّ أَبْرَزَ مَوَاطِنِ الْعُدُولِ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَالْمُشْتَقَّاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّتِي يَسَّرَ اللهُ لِي أَنْ أَقِفَ عَلَيْهَا، مُرَاعِيًا فِي تَرْتِيبِهَا تَرْتِيبَ السُّوَرِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا؛ حَتَّى يَسْهُلَ عَلَى الْقَارِئِ الِإفَادةُ مِنْهَا، ثُمَّ خَاتِمَةٍ تَضُمُّ أَهَمَّ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْبَحْثُ مِنْ نَتَائِجَ، ثُمَّ قَائِمَةٍ بِالْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ.

وقد خَلُصَ البحثُ إِلَى أَنَّ الْعُدُولَ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَالْمُشْتَقَّاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ تَنَوُّعِ الْأَسَالِيبِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى اتِّسَاعِ لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَمُرُونَةِ نِظَامِهَا الصَّرْفِيِّ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يَجْعَلُ هذا الْعُدُولَ مَسْلَكًا مِنْ مَسَالِكِ الدّلالاتِ وَالْإِيحَاءَاتِ الَّتِي يُفْرِزُهَا السِّيَاقُ النَّصِّيُّ.

التمهيد

من تمام الفائدة لهذا البحث أنْ نقف أولا على تحديد مفهوم الأسلوب العدولي، ثم أسباب العدول بين المصدر والمشتقات في القرآن الكريم. وفي ما يأتي تفصيل ذلك.

أولا: مفهوم الأسلوب العدولي.

لعل أيسر صورة تعريفية للأسلوب هي ما عُرف بأنه طريقة التعبير[(١)]، وعليه قُسِّم الأسلوب إلى أدبيٍّ، وعلميٍّ، وكلٌّ له طابعه الذي يميزه عن غيره. وعرَّفه بعض الباحثين بأنه اختيار؛ اعتمادًا على أنَّ اللغة المعينة هي عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير[(٢)]. ولما كانت الألفاظ هي أول ما توفره اللغةُ للمنشئ من بين تلك الإمكانات المتاحة جعل بعض الباحثين الأسلوب محصورا في اختيار العنصر اللفظي؛ إذ هو الصورة اللفظية التي يُعَبَّرُ بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه[(٣)]. وبهذا فإن اختيار العنصر اللفظي أي اختيار المفردات بكل خصائصها وقوانينها الصوتية والصرفية ودلالتها المعجمية الأولية الموضوعة لها يُعدُّ أحد شِقَّي النَّظم الذي قصده عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ويرمي به إلى توخِّي معاني النحو، والشق الثاني

---

(١) انظر: جبر، د. محمد عبد الله، الأسلوب والنحو، دار الدعوة، ط١/١٤٠٩هـ=١٩٨٨م، ص٥.

(٢) انظر: مصلوح، د. سعد عبد العزيز، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، ط٣/١٤١٢هـ=١٩٩٢م، ص٣٧.

(٣) انظر: الشايب، أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، ط٨/١٤١١هـ=١٩٩١م، ص٤٦.

هو وضع هذه المفردات في موقعها النحوي السليم؛ وهذا هو المعنى النحوي القائم على التوفيق في الاختيار بين المفردات ووظائفها النحوية على الهيئة المرادة(١).

أما العدول فإن الاستخدامات الفنية لهذا المصطلح قد ركزت على الطرق الفنية المُثْلى في التعبير عن المعنى وذلك من خلال "العدول عن معنًى من معاني النحو إلى معنًى آخر لأداء دلالة لا يعطيها المعنى الأول"(٢). ولعل المقصود بمعاني النحو هنا المعاني التي تؤديها الصيغ الصرفية أو التراكيب النحوية، ولا شك في أنَّ المعنى الأول (المعدول عنه) للصيغة أو التركيب هو المعنى القائم على حدود المستوى المألوف للكلام، وهو ما يسمى بالمستوى النمطي، أو الاستعمال الدارج، أو العادي، وهو ما يكون الاستعمال فيه – سواء للصيغة أم التركيب – موافقا للصحة اللغوية، أو للعادة التي جرت عليها العرب في استعمالها. وعليه فإنَّ الدلالة الوضعية للمصدر – وهي الدلالة على الحدث فقط – هي المعنى الأول الذي يسير عليه التعبير المثالي المألوف الذي أقرته أنظمة اللغة؛ ومن ثم لا عدول فيه. أما المعنى الآخر (المعدول إليه) فهو ذلك المعنى القائم على حدود المستوى الفني من الكلام، وهو ما لم يمكن أنْ يتحقق إلا بتجاوز ما هو مألوف، وبهذه المجاوزة تكتسب الصيغة مَزِيَّتَها ويزدادُ أَلَقُهَا في السياق اللغوي؛ وعليه فإنَّ الانتقال بالمصدر من دلالته الوضعية إلى دلالة أحد المشتقات يجعله ذا قدرة على العطاء الدلالي الرحيب، من خلال خَرْقِهِ

(١) انظر: عبد اللطيف، د. محمد حماسة، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، ط١/١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م، ص١٦١-١٦٣.

(٢) السيد، د. شفيع، الاتجاه الأسلوبي في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٥.

للنسق اللغوي المألوف، وكَسْرِهِ لأفق التوقع لدى المتلقي. ومن ثم فإنَّ الأسلوب العدولي هو طريقة التعبير التي تنحى بالمصدر من دلالته الوضعية المألوفة والموافِقَة للصحة اللغوية إلى دلالته الفنية القائمة على مجاوزة المألوف، والتي يقتضيها السياق والنظم بما يشتمل عليه من قرائن، وهي تلك الدلالة التي لم يكن للكلام أو التعبير أن يستقيم بدونها.

ثانيا: أسباب القول بالعدول.

يُعزى القول بالعدول بين المصدر والمشتقات في القرآن الكريم إلى عدة أسباب أهمها:

١- **مراعاة القيمة الدلالية**؛ فإذا عُدل بالدالِّ عن مدلوله لم يكن ذلك العدول عفويا(١)؛ إذ لا بد من غاية تُلجئ التعبير إلى ذلك العدول أو الانحراف عما هو مألوف. ومن ثم لا يوجد ثمة عدول عن صيغة إلى أخرى إلا ويصحبه عدول عن معنى إلى آخر.

٢- **مراعاة القيمة الإيقاعية**، والإيقاع من أهم مكونات النظم القرآني، وخصيصة مهمة في تشكيل أدائه، ومن ثم فهو بناء مهم من الأبنية العليا المميزة للنص القرآني بصفة عامة ولفواصل الآيات بصفة خاصة. هذا الإيقاع إذا تلمَّسه القارئ أحسَّ له خفة على اللسان، وراحة في الأذن، وقبولا في النَّفْسِ يقترب به مما يجده من ذلك لوزن الشعر(٢). وأكثر ما يكون ذلك في فواصل الآيات نحو قوله تعالى:﴿ **فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا**

---

(١) انظر: مشري، عبد الناصر، العدول الصرفي تواضع جديد، مجلة الأثر، العدد ١٣، مارس ٢٠١٢م، ص ١٧.

(٢) انظر: حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط١/ ١٩٩٢م، ص ٢٦٧.

﴿ **بِالطَّاغِيَةِ** ﴾ [الحاقة: ٥]؛ فمما روعي بمجيء المصدر على صيغة اسم الفاعل في هذه الآية الجانب الإيقاعي؛ فقد وردت الفاصلة في آيات هذه السورة على هذا البناء عشرين مرة من أربع وأربعين بنسبة ٤٥,٥%؛ ومن ثم فهو البناء الغالب على فواصل الآيات.

٣- **<u>مراعاة القيمة التداولية</u>**، فكثيرا ما يُراعى بالصيغة المعدول إليها حال المخاطبين وصفاتهم، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ** ﴾ [غافر: ٤٧]، فلما كان الله (ﷻ) أعلم بحال كلٍّ منهم – أي حال الضعفاء والذين استكبروا – أجرى على لسان أولئك الضعفاء ما يدلُّ على خضوعهم المطلق واستسلامهم لكبرائهم، وهو المصدر " تَبَعًا " بدلا من اسم الفاعل " تابعين "؛ للمبالغة في الخضوع والاستسلام والانسياق وراء كبرائهم، فكأنهم تجسموا التبعية، أو كأنهم لكثرة تبعيتهم وغلبة ذلك عليهم صاروا كأنهم عين التبعية. ومن هنا يبرز دور الصيغة الصرفية في إنجاز الخطاب.

المبحث الأول

العدول بين المصدر واسم الفاعل

شغل هذا النمط من أنماط العدول حيزا كبيرا في استعمال المصدر في القرآن الكريم؛ فقد ورد ما يقرب من تسعة وثلاثين موضعا، جاء في واحد وثلاثين منها معدولا عن اسم الفاعل إلى المصدر، وفي ثمانية منها معدولا عن المصدر إلى اسم الفاعل.

أولًا: العدول عن اسم الفاعل إلى المصدر.

قد تَصِفُ العربُ الفاعلَ بمصدره، أي تأتي بالفاعل على لفظ المصدر، وليس ذلك لإرادة معنى الفاعلية وإنما لخلوص المعنى إلى المصدرية، وإلا لما كان للعدول عن الفاعل إلى المصدر من فائدة. وذلك كثير في كلامهم، تقول: رَجُلٌ عَدْلٌ وَفَضْلٌ كما تقول: رَجُلٌ عَادِلٌ وَفَاضِلٌ؛ وذلك للمبالغة، أي كأنهم جعلوا الموصوف هو نفسه ذلك المعنى لكثرة حصوله منه، فكأنه لكثرة عدله وفضله جعلوه نفس العدل والفضل(١). قال سيبويه في مجيء المصدر على الفاعل: " ويقع على الفاعل، وذلك قولك يَوْمٌ غَمٌّ، وَرَجُلٌ نَوْمٌ، إنما تريد النائمَ والغامَّ "(٢)، ومما أجازه على سعة الكلام قول الخنساء:(٣)

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ ** فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

---

(١) انظر: ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، (د.ت)، ٥٠/٣.

(٢) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢/١٤٠٢ه=١٩٨٢م، ٤٣/٤.

(٣) ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت، ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م، ص٣٨.

والنحويون يقدرون مثل هذا على تقديرين: **أحدهما:** أن يكون التقدير على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾ [يوسف: ٨٢]. **والثاني:** أن يكون المصدر في موضع اسم الفاعل، فيكون المعنى على التقدير الأول: فإنما هي ذات إقبال وذات إدبار، وعلى الثاني: فإنما هي مُقْبِلَةٌ وَمُدْبِرَةٌ. ولم يرض النحاة بأن يكون المعنى على إرادة الإقبال والإدبار دون تقدير، باستثناء ابن جني الذي كان أكثر عمقا وأقرب للمعنى حينما قال مُعَلِّقًا على قول الخنساء السابق: "كأنها مخلوقة من الإقبال والإدبار، لا على أن يكون من باب حذف المضاف"(١)، وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني بقوله: " لم تُرِدْ بالإقبال والإدبار غير معناهما، فتكونَ قد تَجَوَّزَتْ في نفس الكلمة، وإنما تَجَوَّزَتْ في أنْ جعلتها لكثرة ما تُقْبِلُ وتُدْبِرُ، ولغلبة ذلك عليها واتصاله منها، وأنه لم يكن حالٌ غيرَهُمَا، كأنها قد تَجَسَّمَتْ من الإقبال والإدبار"(٢)؛ وبهذا يحافظ عبد القاهر على المعنى من أنْ يخرج مغسولًا من الشاعرية؛ فَيَفْسَدُ الشِّعْرُ به، ويصير كلامًا عاميًّا مرذولًا.

وقد ورد العدول عن اسم الفاعل إلى المصدر في القرآن الكريم في نمطين: الأول، أن يُؤْتَى بالفاعل على لفظ المصدر. والثاني، أنْ يَعْدِلَ السياق اللغوي عن التعبير باسمِ فاعلٍ مُقَدَّمٍ إلى التعبير بالمصدر، وفي ما يأتي تفصيل ذلك.

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د.ت)، ٢٠٣/٢.

(٢) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥/٢٠٠٤م، ص٣٠٠.

١- الإتيان بالفاعل على لفظ المصدر.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ** ﴾ [إبراهيم: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ** ﴾ [غافر: ٤٧]، فقد وردت كلمة "تَبَعًا" في سياقَيْنِ مُتَّفِقَيْنِ داخليًّا، أي من ناحية التشكيل اللغوي – إذ وردت خبرًا في جملةٍ صغرى (كنا لكم تَبَعًا) خبريةٍ في جملةٍ كبرى (إنا كنا لكم تَبَعًا) – ومُتَّفِقَيْنِ خارجيًّا، أي من ناحية الظروف والملابسات المحيطة بالآيتين. وقد ذهب بعض العلماء إلى أنَّ كلمة " تَبَعًا " اسمُ جَمْعٍ لِتَابِعٍ، كخَدَم وخادم، وحَرَس وحارس، وذهب البعض الآخر إلى أنها مصدر، إما بتقدير مضاف أي إنا كنا لكم ذوي تبع[1]، أو على أن يكون المصدر موضوعًا موضعَ اسم الفاعل. وعلى هذا الرأي الأخير قد جاء التعبير في البنية السطحية بالمصدر" تَبَعًا " الذي نتج عن بعض التحولات في البنية العميقة، التي كانت تقتضي أن يكون التعبير باسم الفاعل، ويكون المعنى على ذلك: إنا كنا لكم تابعين، ولكن لم يُعْدَلْ عن التعبير باسم الفاعل إلى التعبير بالمصدر لكي يُقال إنَّ المصدر هنا بمعنى اسم الفاعل فحسب، وإلا لما كان لهذا

---

(١) انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخين: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/١٤١٣هـ=١٩٩٣م، ٤٠٦/٥.

العدول من جدوى. وبالنظر إلى دلالة المصدر واسم الفاعل، فإن المصدر يدل على الحدث ذاته مجردا من كل شيء، أما اسم الفاعل فيدل على الحدث والحدوث وفاعله، قال الأزهري: "إذا أردت ثبوت الوصف قلت حَسَن ولا تقول حَاسِن، وإن أردت حدوثه قلت حاسِن، ولا تقول حَسَن"(١)، والحدوث هو ما يقابل الثبوت(٢)، فكلمة " قائم " اسم فاعل يدل على القيام وهو الحدث، وعلى الحدوث أي التغير؛ إذ إنَّ القيام ليس ملازما لصاحبه(٣)؛ ومن ثم لو جاء التعبير

---

(١) الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/١٤٢١هـ=٢٠٠٠م، ٢/٤٨.

(٢) انظر: السامرائي، د. فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، ط٢/١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م، ص٤١.

(٣) قد يُؤتى باسم الفاعل في بعض السياقات للدلالة على الحدوث، وقد أكد الزمخشري ذلك في تلمُّسه للفرق بين (ضيِّق وضائق) في قوله تعالى: ﴿ **فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ** ﴾ [هود: ١٢]، فقال: " فإن قلت: لم عدل عن ضَيِّقٍ إلى ضَائِقٍ؟ قلت: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت؛ لأن رسول الله (ﷺ) كان أفسح الناس صدرا، ومثله قولك: زيد سيد وجواد، تريد: السيادة والجود الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد، وجائد ". الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق الشيخين: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط١/١٤١٨هـ=١٩٨٨م، ٣/١٨٦.

وليس معنى أن اسم الفاعل يدل في بعض السياقات على الحدوث أنه يخلو من الدلالة على الثبوت؛ إذ يقع اسم الفاعل وسطا بين الفعل والصفة المشبهة في الدلالة على الدوام والثبوت، فإذا قورن بالفعل فهو أدل منه على ذلك، وإذا قورن بالصفة المشبهة فإنه لا يرقى إليها في الدلالة على الثبوت والدوام. وقد فرق عبد القاهر الجرجاني بين الإثبات بالاسم وبينه إذا كان بالفعل فقال: " وبيانه على أن موضوع الاسم على أنْ يثبت به=

في الآية باسم الفاعل لَأَوْحَى ذلك بأنَّ التبعية عارضة غير ثابتة ولم تكن ملازمة لأصحابها؛ فيتسلل الإيهام بتبرئة الرؤساء مما لَحَقَ بتابعيهم. ويبقى السؤال: ولم كان العدول إلى المصدر دون غيره؟ وجواب ذلك يتمثل في أنَّ المصدر لا يدل إلا على الحدث فحسب، وهؤلاء الضعفاء – وهم في موقف التخاصم والتحاجِّ في النار – لا يعنيهم الزمان ولا المكان، ولا الفاعل ولا المفعول؛ لأنهم مشغولون بالحدث ذاته، أي بالتبعية التي أضلتهم وجعلتهم مستحقين لعذاب الله، ولذلك أسندوها إلى أنفسهم ﴿ **إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا** ﴾؛ للمبالغة في الخضوع والاستسلام والانسياق وراء كبرائهم، فكأنهم تجسموا التبعية، أو كأنهم لكثرة تبعيتهم وغلبة ذلك عليهم – وأنهم لم يكن لهم حال غير ذلك مع كبرائهم – صاروا كأنهم عين التبعية. فلما كان الله (ﷻ) أعلم بحال كلٍّ منهم – أي حال الضعفاء والذين استكبروا – أجرى على لسان أولئك الضعفاء

=المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء. فإذا قلت: " زيد منطلق "، فقد أثبت الانطلاق فعلا له، من غير أنْ تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا...، وأما الفعل فإنه يُقصد فيه إلى ذلك. فإذا قلت: " زيد ها هو ذا ينطلق "، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءا فجزءا، وجعلته يزاوله ويُزَجِّيه ". دلائل الإعجاز: ١٧٤. وعليه فقد فرَّق الزمخشري بين التعبير بالاسم والفعل في قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ** ﴾ [الملك: ١٩] بقوله: " فإن قلت: لم قيل: ويقبضن، ولم يقل: وقابضات؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدُّ الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط= للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح ". الكشاف: ١٧٥/٦.

ما يدلُّ على خضوعهم المطلق واستسلامهم لكبرائهم، وهذا هو الملمح التداولي في هذا المسلك العدولي.

وهذه التبعية المطلقة هي التي جعلتهم يتجرعون مرارتها، ويتوجهون إلى كبرائهم بالتقريع، والتوبيخ، ومحاولة إيلام قلوبهم من خلال الاستفهام ﴿ **فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾، ﴿ **فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ** ﴾، يقولون ذلك وهم على يقين من أنهم لا يستطيعون نَصْرَهُمْ، ولا دَفْعَ الأذى عنهم أو تَحَمُّلَهُ بدلا منهم، لأنَّ أولئك الكبراء لو كانوا يستطيعون نَصْرَ غَيْرِهِمْ لاستطاعوا أنْ ينصروا أَنْفُسَهُم، ولكن هيهات هيهات لهم؛ ولذلك سرعان ما يكون ردهم على أولئك الضعفاء في سورة إبراهيم ﴿ **لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ** ﴾، **وفي سورة غافر** ﴿ **إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ** ﴾ [غافر: ٤٨].

وهذه التبعية ذاتها هي التي جعلت أولئك الضعفاء يُعَبِّرُونَ عنها في تركيب لغوي جديد ﴿ **لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ** ﴾ [سبأ: ٣١]، فيأتيهم الرد من كبرائهم ﴿ **أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ** ﴾ [سبأ: ٣٢]، فالكل – عندئذٍ – يحاول أنْ يَتَنَصَّلَ ممَّا أَضَلَّهُ وَجَعَلَهُ خالدا في النار؛ فالضعفاء يَتَنَصَّلُونَ من تَبَعِيَّتِهِم الذميمة، والكبراء يَتَنَصَّلُونَ من استدراجهم وإضلالهم لتابعيهم. وهكذا تتضافر الألفاظ والتراكيب والسياقات لإبراز دلالات العدول عن التعبير باسم الفاعل إلى التعبير بالمصدر.

٢- العدول عن اسم فاعل مُقَدَّمٍ في السياق اللغوي إلى المصدر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة: ٤٦]. ولإدراك العدول في الآيتين نتأمل الشكل الآتي:

في آية البقرة مصدقا ← وهدى وبشرى

اسم فاعل ← مصدران

وفي آية المائدة مصدقا ← وهدى وموعظة

اسم فاعل ← مصدران

وهذه هي البنية السطحية التي جاءت عليها الآيتان بالعدول في التعبير عن اسم الفاعل المقدَّمِ إلى المصدر، بعد تحويلات عن البنية العميقة التي يُفترض أن يكون التعبير فيها: مصدقا وهاديا ومبشرا أو تصديقا وهدى وبشرى في آية البقرة، ومصدقا وهاديا وواعظا أو تصديقا وهدى وموعظة في آية المائدة، وهذا الافتراض مبني على قانوني الجوار والعطف اللذين يرجحان تماثل الصيغ وتوافقها في السياق الواحد. ومن ثم لا بد من مبررات لهذا المسلك العدولي، ففي آية البقرة جاءت كلمة " مصدقا " بصيغة اسم الفاعل، والمعنى على ذلك أن القرآن – إذا سلمنا بعود الضمير في (نَزَّلَهُ) على القرآن – جاء مصدقا للكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، ومن ثم فاختيار التعبير باسم الفاعل جاء موحيا بالإخبار، أي أن القرآن مخبرٌ بصدق غيره من الكتب السماوية. وعدل عن

دلالة اسم الفاعل (مصدقا) إلى دلالة المصدر (هدى وبشرى)؛ لأن التصديق نابع من القرآن ذاته، فهو المخبر بصدق غيره من الكتب كما سبق، أما الهداية فلم تكمن في القرآن؛ لأنها متعلقة بيد الله – سبحانه – ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ [القصص: ٥٦]؛ ومن ثم جاء التعبير عنها بما يدل على الحدث ذاته دون تقييد بفاعل أو مفعول أو زمان أو مكان، وعُطفت عليها البشارة بصيغة المصدر أيضا لأنها مترتبة عليها. وربما يكون ذلك كله للمبالغة؛ أي أنَّ القرآن هو نفس الهدى والبشارة، أو كأنه قد تجسم منهما لغلبة هذين المعنيين عليه.

وفي آية المائدة جاء القول في نصب كلمة "مصدقا" على وجهين: **الأول**، أن يكون عطفا على "مصدقا" الأولى، فتكون حالا من عيسى مؤكدة للحال الأولى ومقررة لها. **والثاني**، أن يكون معطوفا على محل "فيه هدى" – وهو النصب على الحال من الإنجيل – أي أن الإنجيل قد أوتيه عيسى (عليه السلام) حال كونه مشتملا على الهدى والنور ومصدقا وهاديا وواعظا للمتقين[1]. والوجه الثاني هو الأَوْلَى؛ لأن الأول مبنيٌّ على التأكيد، أما الثاني فمبنيٌّ على التأسيس، والتأسيس أَوْلَى لأنه إنشاء لمعنى جديد، أما التأكيد فهو تكرار لمعنى سابق. وعليه فقد جاء العدول عن اسم الفاعل (مصدقا) إلى المصدر (هدى وموعظة)؛ لأن التصديق هنا نابع من الإنجيل لِمَا جاء في التوراة، أما الهداية فلكونها متعلقة بيد الله وحده جاء التعبير عنها بالمصدر الدال على مطلق الهداية (هدى) وعُطِفَ عليه (موعظة) بصيغة المصدر لكمال الاتساق بالصيغ. وربما يكون ذلك أيضا للمبالغة، فيكون الإنجيل هو نفس الهدى ونفس الموعظة للمتقين.

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٣/٥١٠ ، ٥١١.

ولعل سائلا يسأل: ولِمَ لم يأت التعبير عن اسم الفاعل بصيغة المصدر فيكون النسق تصديقا وهدى وبشرى في آية البقرة، وتصديقا وهدى وموعظة في آية المائدة؟ والجواب عن ذلك يقتضي تتبع ورود هذا المصدر (تصديق) في القرآن الكريم، فقد ورد مرتين: **الأولى** في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ** ﴾ [يونس: ٣٧]، **والثانية** في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [يوسف: ١١١]، وسياق الآيتين واحد، وهو نفي افتراء القرآن؛ إذ إنَّ ادعاء المشركين افتراء القرآن أمرٌ جَلَلٌ؛ لأنه يترتب عليه هَدْمُ الرسالة النبوية؛ ومن ثم جاء التعبير عن القرآن في هاتين الآيتين بالمصدر لا باسم الفاعل؛ لأن المصدر يدل على مطلق التصديق ومطلق التفصيل في كل زمان، أي أن القرآن هو عين التصديق لما جاء في التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب التي بَشَّرت بمجيئه، كما أنه عين التفصيل لما يحتاجه العباد من الشرائع والأحكام. أما آيتا البقرة والمائدة فلم يكن بد فيهما من التعبير باسم الفاعل (مصدقا)؛ إذ إنَّ كُلًّا من القرآن والإنجيل مُتَلَبِّسٌ بالحدث ذاته وهو التصديق وفاعلٌ له.

ثانيا: العدول عن المصدر إلى اسم الفاعل.

قد تَصِفُ العرب المصدر بفاعله – كما وَصَفَتْ من قبل الفاعل بمصدره – أي تأتي بالمصدر على لفظ الفاعل، أو تعدل في التعبير عن مصدر مقدَّم في السياق اللغوي إلى اسم فاعل؛ وليس ذلك إلا لقصد الحدث وفاعله معًا، ولكن هذا قليل إذا قورن بما سبق، أي إذا قورن بالعدول عن اسم الفاعل إلى المصدر؛ قال المبرد: " وقلما يجيء المصدرُ على فاعِلٍ، فمما جاء على وزن فاعلٍ قولُهُم: عُوفِيَ عَافِيَةً، وفُلِجَ فَالِجًا، وقُمْ قَائِمًا، وكما قال:(١)

... ... ** ولا خَارِجًا مِنْ فِيَّ زُورُ كَلَامِ

أي ولا يخرج خروجا"(٢)، فقد وضع الشاعر "خارجا" موضع "خروجا" والتقدير: لا أشتم شتما ولا يخرج خروجا من فيّ زور كلام؛ لأنه على ذلك أقسم، وهذا مذهب سيبويه. وقد ذهب عيسى بن عمر إلى أن " خارجا " حال، والتقدير على ذلك: عاهدت ربي لا شاتما ولا خارجا من فيَّ زُورُ كلام في هذه الحال(٣).

---

(١) هذا عجز بيت للفرزدق في ديوانه بتحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/١٤٠٧هـ=١٩٨٧م، ص ٥٣٩، صدره: عَلَى قَسَمٍ لا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا. وفي الكامل:٤٦٤/١ على حَلْفَة، وكذلك في شرح المفصل:٥١/٦، وقبل هذا البيت قوله:

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي، وإِنَّنِي ** لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمٌ ومَقَامِ.

(٢) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط٣/١٤١٨هـ=١٩٩٧م، ٤٦٤/١.

(٣) انظر: شرح المفصل: ٥١/٦ ، والرضي، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م، ١٧٧/١.

وقد ورد العدول عن المصدر إلى اسم الفاعل في القرآن الكريم في نمطين: أولهما: المجيء بالمصدر على لفظ الفاعل، والثاني: العدول في التعبير عن مصدر مُقَدَّمٍ في السياق اللغوي إلى اسم الفاعل. وفي ما يأتي تفصيل ذلك.

١ – الإتيان بالمصدر على لفظ الفاعل.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ** ﴾ **[المائدة: ١٣]**، وقوله: ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ [غافر: ١٩]، وقوله: ﴿ **لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ** ﴾ [النجم: ٥٨]، وقوله: ﴿ **لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ** ﴾ [الواقعة: ٢]، وقوله: ﴿ **فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ** ﴾ [الحاقة: ٥] وقوله: ﴿ **فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ** ﴾ [الحاقة: ٨].

ولضيق المقام عن دراسة ما سبق من الآيات والوقوف عليها جميعًا بالتحليل اخْتَرْتُ موضعا واحدا منها؛ لنتبين من خلاله دلالات الإتيان بالمصدر على لفظ الفاعل، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ** ﴾ [الحاقة: ٥]. وقد اختلف أهل التأويل في معنى الطاغية[(١)]؛ قال ابن عباس، وابن زيد، وأبو عبيدة: الطاغية مصدر كالعاقبة، فكأنه قال: بطغيانهم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا** ﴾ [الشمس: ١١]. وقال مجاهد، وابن زيد أيضا: بسبب الفعلة الطاغية التي فعلوها. وقيل: (الطاغية) عاقر الناقة، والتاء فيه للمبالغة كرجل راوية. وقال آخرون: بل معنى ذلك: فأُهلكوا بالصيحة الطاغية، تلك الصيحة التي قد حازت مقادير الصياح وطغت

(١) انظر: البحر المحيط: ٨/٣١٥،٣١٦.

عليها، وهذا ما رجحه الطبري[١]، وذهب إليه أغلب المفسرين. وعلى هذا فـ " الطاغية " فاعلة من الطغيان، وهو مجاوزة الحد مطلقا، والمعنى وفقا لذلك على إرادة المصدرية؛ ومن ثم ينصرف إلى مطلق الطغيان الذي هلكت ثمود به دون إسناده إلى فاعل أو مفعول، فتكون الباء عندئذ سببية، أي بسبب طغيانها. أو أن الطاغية هي الصيحة الشديدة التي أهلكتهم، وعلى ذلك تكون الباء في قوله: " بالطاغية " آلية، كقولك: كتبت بالقلم، وقطعت بالسكين[٢]. ولو تأملنا لوجدنا التناسب الذي بين الآيات مؤيدا لأنْ تكون الباء في قوله: " بالطاغية " آلية؛ لأنَّ الله – سبحانه – قد أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به، فقال: ﴿ **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ** ﴾ [الحاقة: ٦]، ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله، لكان الخبر أيضا عن عادٍ كذلك؛ إذ كان ذلك في سياقٍ واحدٍ[٣]، ويشهد لذلك أيضا التعبير القرآني المتعدد عن الهلاك الذي أُهلكت به ثمود[٤]؛ فقد عبَّر الله (ﷻ) عنه بالصاعقة وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ** ﴾ [فصلت: ١٣]، وقوله: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**

---

(١) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١/١٤٢٢هـ=٢٠٠١م، ٢٠٩/٢٣.

(٢) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط٢/١٤٠٠هـ=١٩٨٠م،٨/٤٤٠.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٠٩/٢٣.

(٤) انظر: أضواء البيان:١٣٧/٧.

فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧]، وقوله: ﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٤]. وعبَّرَ عنه بالصيحة في قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [هود: ٦٧]، وقوله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ [الحجر: ٧٣]، وقوله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: ٨٣]، وقوله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: ٨٣]، وقوله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤١]، وقوله:﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وقوله: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: ٣١]. وعبَّرَ عنه بالرجفة في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨]، وعبَّرَ عنه بالتدمير في قوله تعالى: ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النمل: ٥١]، وعبَّرَ عنه بالعذاب في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٨]، وعبَّرَ عنه بالطاغية في سورة الحاقة وهي موضع الدراسة، كما عبَّرَ عنه بالدَّمْدَمَةِ في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ

﴿ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ [الشمس: ١٤]، وهكذا تَعَدَّدَت التعبيرات القرآنيَّة في إبراز صورة الهلاك الذي أهلك به الله – سبحانه – ثمود، وجاءت صيغة الطاغية مُصَوِّرَةً ومُجْمِلَةً للتعبيرات المتعددة التي أبرزت ذلك الهلاك؛ فالصيحة طاغية، والصاعقة طاغية، والرجفة طاغية، والدمدمة طاغية، والتدمير طاغٍ، وكذلك العذاب. وهذه المعاني كلها ما كانت لتتحقق لو كان التعبير بالطغيان بدلا من الطاغية. وإذا تأملنا هذا المسلك العدولي عن المصدر "الطغيان" إلى اسم الفاعل " الطاغية " لوجدنا أن ذلك يرجع إلى الأسباب الآتية:

- هذه الصيغة (الطاغية) تجمع بين إرادة معنى المصدرية والفاعلية؛ لأنها تدل على الحدث وفاعله، وهذا ما لا يدل عليه المصدر "الطغيان"، كما أنها تدل على أنهما متلازمان – أي المصدر واسم الفاعل – تلازم المُسَبَّبِ للسَّبَبِ؛ لأن الأول سَبَبُ الثاني(١)؛ إذ إنَّ طغيانهم الذي جاوز كل حدٍّ هو الذي أدى بهم إلى تلك الصيحة الطاغية.
- بناء هذه الصيغة يفيض بالهول المشحون بالفزع والرعب، وهو ما يناسب جو السورة؛ إذ يدل على قوة الصيحة التي فعلت بثمود ما فعلت، وهو بناء الواحدة الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: ٣١]؛ فما كانت إلا صيحة واحدة طوت ثمود طيًّا، ودمَّرتهم تدميرًا، وطغت عليهم بطغيانهم فلم تُبْقِ لهم ظلا ولا أثرا.
- انصراف الذهن بهذه الصيغة المختارة إلى ألوان العذاب الذي وقع على ثمود من صيحة وصاعقة ورجفة ودمدمة وتدمير.

---

(١) انظر: أضواء البيان: ٨/٤٤٠.

- إيقاع هذه الصيغة المعدول إليها هو المناسب لبناء فواصل الآيات في سورة الحاقة؛ فقد وردت الفاصلة في آيات هذه السورة على هذا البناء عشرين مرة من أربع وأربعين بنسبة ٤٥،٥%؛ ومن ثم فهو البناء الغالب على فواصل الآيات.

٢- العدول عن مَصْدَرٍ مُقَدَّمٍ في السياقِ اللغويِّ إلى اسم الفاعل.

وهذا هو النمط الثاني من أنماط العدول عن المصدر إلى اسم الفاعل في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٩٢،٩٣]. فقد أراد الله (ﷻ) أنْ يُبَيِّنَ أحكام المؤمن المقتول خطأ في الآية الأولى، وأنْ يؤكد على علْمِه – سبحانه – بمن قُتِلَ خطأً وحكْمَتِه في ترتيب ما رتَّبَهُ وفَرْضِ ما فَرَضَهُ على مُرْتَكِبِ هذه الجناية. وقابل ذلك بأحكام قتل المؤمن متعمدا في الآية الثانية. ولإدراك العدول في الآيتين نتأمل الشكل الآتي:

﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً ﴾ ⟵ ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ﴾

مصدر ⟵ اسم فاعل

وهكذا جاءت البنية السطحية في الآيتين بالعدول في التعبير عن المصدر إلى اسم الفاعل، بعد تحويلات عن البنية العميقة التي يُفترض أن يكون التعبير فيها:

ومن قتل مُؤْمِنًا خَطَأً ←——— ومن يقتل مُؤْمِنًا تَعَمُّدًا

أو/ ومن قتل مُؤْمِنًا مُخْطِئًا ←——— ومن يقتل مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا

وهذا الافتراض مبني على قانون العطف الذي يرجح تماثل الصيغ وتوافقها في السياق الواحد. ومن ثم لم يخل هذا المسلك العدولي من فائدة دلالية؛ فقد جاء التعبير في الآية الأولى بالمصدر "خطأ" الدال على مطلق الحدث؛ لتسليط الضوء على الحدث ذاته مجردا مما ينسب إليه؛ وذلك لأن القتل الخطأ لا يُقصد به زهوق الروح؛ إذ لا ينبغي للمؤمن قتل أخيه المؤمن بغير حق، ولا يكون ذلك منه إلا خطأ؛ لأن الإيمان زاجر له عن ذلك، وهذا ما تؤكده الدلالة المعجمية لكلمة "خطأ" التي تدل على ارتكاب الذنب بغير تعمد، وكأنَّ هذا إيذان بتبرئة القاتل خطأ. ولهذا آثر النص القرآني التعبير بالمصدر "خطأ" على التعبير باسم الفاعل في الآية الأولى؛ حتى لا يوهم التعبير باسم الفاعل بأن القاتل – في هذه الحالة – متلبِّسٌ بالقتل، وكأنه متعمدٌ لارتكابه والوقوع في ذلك المحظور.

ولما كان السياق في الآية الثانية في حاجة إلى إبراز جزاء القصد في القتل عدل عن المصدر إلى اسم الفاعل "متعمدا" الدال على الحدث ونسبته إلى فاعله؛ إمعانا في إظهار القصد في القتل، وتبييت النية عليه. ولنا أن نتأمل إيثار التعبير باسم الفاعل " مُتَعَمِّدًا " من الفعل المزيد "تَعَمَّدَ" بدلا من "عَامِدٍ" من الفعل المجرد "عَمَدَ"؛ ليكون ذلك أدلَّ على تَوَفُّرِ النَّفْسِ واحتشادِهَا على القيام بهذا الفعل، وتَهَيُّئِهَا لهذا الحدث؛ ومن ثم كان الجزاء مضاعفا من الله (ﷻ) فقال تعالى: **﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾**.

المبحث الثاني

العدول بين المصدر واسم المفعول

قد تصفُ العربُ المفعولَ بمصدَرِهِ والمصدرَ بمفعولِهِ – مثلما وصفت من قبل الفاعلَ بمصدرِهِ والمصدرَ بفاعلِهِ – أي تُخْرِجُ المفعولَ على لفظ المصدر وتُخْرِجُ المصدرَ على لفظ المفعول، وهذا ما أكده الاستعمال اللغوي في كلام العرب وفي القرآن الكريم.

وقد ورد هذا النمط من أنماط العدول بين المصدر والمشتقات في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعا، جاء في أربعة وعشرين منها معدولا عن اسم المفعول إلى المصدر، وفي أربعة معدولا عن المصدر إلى اسم المفعول. وفي ما يأتي تفصيل ذلك.

أولًا: العدول عن اسم المفعول إلى المصدر.

جاء العدول عن اسم المفعول إلى المصدر في القرآن الكريم في نمطين: **الأول:** أن يُؤتَى باسم المفعول على لفظ المصدر، **والثاني:** أنْ يَعْدِلَ السياق اللغوي عن التعبير باسم مفعول مُقَدَّمٍ إلى التعبير بالمصدر. وفي ما يأتي تفصيل ذلك.

١ – الإتيان بالمفعول على لفظ المصدر.

اتفق النحاة على جواز مجيء المصدر على إرادة المفعول[(١)]، قال سيبويه: " وَقَدْ يَجِيءُ المصْدَرُ علَى المَفْعُولِ، وذلك قولك: لَبَنٌ حَلَبٌ، إنما تريد مَحْلُوبٌ،

(١) انظر: الكتاب: ٤٣/٤، والكامل: ١٥٦/١، والفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، تحقيق: صلاح الدين عبد الله الشيكاوي، مطبعة العاني، بغداد، (د.ت)، ص٥٩٨.

وكقولهم: الْخَلْقُ إنما يريدونَ المخْلُوقَ، ويقولون للدرهم: ضَرْبُ الأمير، وإنما يريدون مَضْرُوب الأمير"(١). وقال أبو علي الفارسي في قوله تعالى: ﴿ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ ﴾ [المائدة: ٩٤] : "والصيد وإن كان في الأصل مصدرًا فقد صار اسما للمُصْطَادِ، ونظير هذا قولهم: الخَلْقُ في الْمَخْلُوقِ، والنَّسْجُ في الْمَنْسُوجِ، والضَّرْبُ في الْمَضْرُوبِ"(٢).

وقد ورد هذا النمط في مواضع متعددة في القرآن الكريم منه قوله تعالى: ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف: ١٨]؛ إذ جاء السياق اللغوي في هذه الآية معدولا عن التعبير باسم المفعول " مكذوب " إلى التعبير بالمصدر "كذب". وأغلب النحاة في مثل ذلك – أي في مجيء المصدر بمعنى المفعول – يعللون الوصف بالمصدر على تقدير حذف المضاف، مثل قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢]، وحُجَّتُهُمْ في ذلك أنَّ الفاعل والمفعول قد يُسَمَّيَانِ بالمصدر؛ وعليه فالتقدير في الآية: بدمٍ ذي كذبٍ، والمعنى دمٌ مكذوبٌ فيه(٣). ==

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣.

(٢) انظر: البغداديات: ٥٩٨.

(٣) انظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣/١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، ٢/٣٨، والزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١/١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، ٣/٩٦، والنحاس، الإمام أبو جعفر، معاني القرآن الكريم، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، طبعة جامعة أم القرى، ط١/١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، ٣/٤٠٤.

==وإليه ذهب أغلب المفسرين[1]. ومنهم من ذهب إلى أن المعنى على إرادة الوصف بالمصدر وذلك على سبيل المبالغة؛ كأنه نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذاب: هو الكذب بعينه، والزور بذاته[2].

وإذا أردنا أنْ ندرك قيمة العدول في هذه الصيغة لا بد لنا من الإلمام بالسياق الذي وردت فيه؛ فقد جاء إخوة يوسف إلى أبيهم يبكون وقد ادَّعوا أنَّ يوسف قد أكله الذئب، وهو ما خاف منه أبوهم من قبل؛ إذ قال: ﴿ **إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ** ﴾ [يوسف: ١٣]، ولكي يُصَدِّقَهُمْ أبوهم في ادعائهم جاءوا بِسَخْلَةٍ – أي شاة – فذبحوها ولطَّخوا قميص أخيهم بدمها؛ فلما نظر يعقوب إلى الدم ولم ير في القميص شقًّا ولا خرقًا قال: يا بَنِيَّ، والله ما عهدتُ الذئبَ حليمًا![3]. وبهذا أراد الله لهم الخذلان أمام أبيهم، وهو الخذلان المقرون بالمعصية دائما. وهكذا لما كان الدم غير مطابق للواقع وَصَفَهُ الله (ﷻ) بأنه كَذِبٌ؛ وذلك إما على إرادة المفعول والمعنى: دمٌ مكذوبٌ فيه، وفي ذلك دلالة على الحدث وذات المفعول، وهذا ما لم يكن ليتحقق بالمصدر وحده، أو على إرادة المصدر ودلالته على

---

(١) انظر: الكشاف: ٢٦٢/٣، والرازي، الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١/١٤٠١هـ=١٩٨١م، ١٠٤/١٨،١٠٥، والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١/١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م، ٢٨٦/١١.

(٢) انظر: الكشاف: ٢٦٢/٣.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٧/١٣.

مطلق الحدث دون نسبته إلى أي شيء؛ وكأنَّ الدم – مع هذا الوصف – مخلوقٌ من الكذب ومتجسِّمٌ منه، وهذا أدلُّ على ضعف برهان إخوة يوسف وخذلانهم وافتضاح أمرهم أمام أبيهم.

ومن خلال ما سبق أرى أنَّ السياق لا يمنع اجتماع المصدر المعدول إليه " كَذِب " واسم المفعول المعدول عنه "مكذوب" في إيضاح المعنى؛ فاجتماعهما معا بمثابة لفت الانتباه لإفادة التأكيد؛ إذ إنَّ إرادة المعنى على المصدرية بمثابة الاستنكار لما فعله إخوة يوسف (عليه السلام) بل يدل على فظاعة جُرْمِهِمْ الذي ارتكبوه في حقِّ أخيهم ابن أبيهم؛ فكان أحقَّ بأنْ يوصف بأنه هو الكذب بعينه، وأما إرادة المعنى على المفعولية فهو بمثابة تسليط الضوء على ذات المفعول " الدم " ليستحضر القارئ بهذه الصيغة المعدول عنها صورة هذا الدم المزيَّفِ المصنوع بالتلفيق؛ ومن ثم يزداد استنفارا واستنكارا لهذا الصنيع. وبهذا كأنَّ العلاقة بين المصدر والمفعول في هذا السياق هي السببية؛ إذ جاء المصدر مسببًا عن المفعول، وهو ما يؤكد تلاحم المعدول إليه مع المعدول عنه في إبراز المعنى.

٢ – العدول عن اسم مفعول مُقَدَّمٍ في السياق اللغوي إلى المصدر.

هذا هو النمط الثاني من أنماط العدول عن اسم المفعول إلى المصدر، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران: ٩٦]. إنَّ الآية الكريمة ترسم حالين مقارنين لأول بيت وضع للناس، وآثر التعبير القرآني إبراز هاتين الحالين في صيغتين مختلفتين، الحال الأولى: "مباركا" بصيغة اسم المفعول، والحال الثانية: "هدى" بصيغة المصدر. وانتصاب "مباركا" على الحال ظاهرٌ، وأما " هدى " فظاهره أنه معطوف على "مباركا" والمعطوف على الحال حال.

وبحكم قانوني الجوار والعطف اللذين يرجحان تماثل الصيغ كان السياق اللغوي يقتضي أنْ يكون التعبير: "مباركا ومهديا به"، أو "بركة وهدى"، لكنَّ الأسلوب القرآني عدل عن أنْ ينتظم النسق اللغوي باسمي المفعولين (مباركا ومهديا) أو بالمصدرين (بركة وهدى)، وآثر هذا التعبير أن يكون باسم المفعول معطوفا عليه المصدر وذلك لغاية يتطلبها السياق.

ولعلَّ المتأمل يجد أنَّ اختيار التعبير باسم المفعول "مباركا" في تحديد ملامح الحال الأولى لأول بيت وُضِع للناس يسلط الضوء على الحدث مصحوبا بمن وقع عليه فعل الفاعل؛ وإذا كان من شأن صيغة اسم المفعول أن تدل على الحدث – وهو البركة – وَرَبْطِهِ بذات المفعول – أي بأول بيت وضع للناس وهو بيت الله الحرام – فإنَّ من توابع هذه الدلالة أن تلفتنا هذه الصيغة إلى مصدر هذه البركة؛ إذ إن هذا البيت مبارك من الله – سبحانه – ثم ممن وضعوا قواعده ورفعوها وهما إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ثم ممن وضع حَجَرَهُ الأسود وهو النبي (ﷺ)؛ وبهذا تكون هذه الحال مكتسبة. وقد تكون ذاتية؛ أي قد تكون هذه البركة لِمَا يحصل في هذا المكان من الثواب، وتكفير السيئات لِمَنْ حَجَّهُ، واعْتَمَرَهُ، وطاف به، وعكف عنده، أو قد تكون بركته لدوام العبادة فيه ولزومها[1]. وسواء أكانت هذه الحال مكتسبة أم ذاتية فإن التعبير عنها بصيغة اسم المفعول يدل على إظهار الحدث مرتبطا بذات المفعول ومشيرا إلى مصدره، وهو ما لم يدل عليه التعبير بالمصدر.

وبعد أن تحققت هذه المعاني بصيغة اسم المفعول عدل التعبير القرآني إلى المصدر "هدى" بعطفه على اسم المفعول "مباركا"؛ وذلك لإرادة معنى جديد لا

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٣/٨.

يفي به التعبير باسم المفعول؛ إذ إنَّ العدول عن اسم المفعول إلى الوصف بالمصدر لا يكون إلا على سبيل المبالغة، فالتعبير بالمصدر يصرف الذهن إلى مطلق الحدث دون تقييده بزمان أو مكان أو فاعل أو مفعول، وقد دلَّ التعبير بالمصدر هنا على أنَّ البيت الحرام ليس هاديا ولا مهديا به فحسب، ولا موضعا للهداية فقط، وإنما هو عين الهداية وسَبَبٌ لها، وكأنه قد تجسَّمَ منها، ولم يكن له حال غيرها.

ثانيًا: العدول عن المصدر إلى اسم المفعول.

نصَّ ابن الحاجب على أنَّ ما جاء من المصادر على "مَفْعُولٍ" كالْمَيْسُورِ والْمَعْسُورِ والْمَجْلُودِ والْمَفْتُونِ قليلٌ[1]، ومع هذه القلة لم يتفق النحاة على مجيء اسم المفعول على إرادة المصدر، مثلما اتفقوا من قبل على جواز مجيء المصدر على إرادة المفعول. ومذهب سيبويه في هذا أنَّ المصدر لا يأتي على وزن " مفعول " ألبتة[2]؛ إذ يقول: "وأما قوله: دَعْهُ إلى مَيْسُورِهِ ودَعْ مَعْسُورَهُ، فإنما يجيء هذا على المفعول كأنه قال: دَعْهُ إلى أَمْرٍ يُوسَرُ فيه أَوْ يُعْسَرُ فيه. وكذلك المرفوع والموضوع، كأنه يقول: له ما يرفعه وله ما يضعه. وكذلك المعقول، كأنه قال: عُقِلَ له شَيْءٌ، أي حُبِسَ له لُبُّهُ وشُدّد"[3]. وكأن سيبويه بذلك

(١) انظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١٦٨/١.

(٢) انظر: ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣/١٤١٧هـ=١٩٩٦م، ٢٨٤/٣، وانظر: انظر: شرح المفصل: ٥٢/٦.

(٣) الكتاب: ٩٧/٤.

يجعل الميسور والمعسور صفتين للزمان: أي الزمان الذي يُوسَرُ فيه ويُعْسَرُ فيه، على حذف الجار، كقولهم: المحصول: أي المحصول عليه(١).

لكن أغلب النحويين يذهبون إلى أنَّ ما جاء بلفظ المفعول كقولهم: الميسور والمعسور والمرفوع والموضوع والمعقول والمجلود إنما هي مصادر على "مفعول". إذ يؤكد الأخفش ذلك بقوله: "ليس له معقول، أي ليس له عَقْلٌ، وخُذْ مَيْسُورَهُ ودَعْ مَعْسُورَهُ، أي خذ الْيُسْرَ منه ودع الْعُسْرَ"(٢). ويؤكد المبرد أيضا ذلك مُعلِّلا مجيء المفعول على إرادة المصدر بمجيء المصدر على إرادة المفعول؛ إذ يقول: "وجاء على مفعول نحو: رجلٌ ليس له معقولٌ، وخُذْ مَيْسُورَهُ ودَعْ مَعْسُورَهُ، لدخول المفعول على المصدر، يقال: رجلٌ رِضًى أي: مَرْضِيٌّ، وهذا درهمٌ ضَرْبُ الأميرِ: أي مضروبٌ، وهذه دراهم وزنُ سبعةٍ، أي موزونةٌ"(٣).

ويُعدُّ العدول عن المصدر إلى اسم المفعول في القرآن الكريم قليلا إذا ما قورن بالعدول عن اسم المفعول إلى المصدر. ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ** ﴾ [القلم: ٥-٦]. واختلف العلماء في حقيقة اسم المفعول "**الْمَفْتُونُ**" أهو على بابه أم يرادُ به المصدر؟ فقال بعض نحويِّي البصرة: معنى ذلك فستبصر ويبصرون أيَّكم المفتون الذي فُتِن بالجنون، وذلك

---

(١) انظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١/١٧٥.

(٢) الصَّيْمَرِيّ، أبو محمد بن عبد الله بن علي بن إسحاق، التبصرة والتذكرة، تحقيق: د. فتحي أحمد مصطفى علي الدين، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤٠٢هـ=١٩٨٢م، ٢/٨٩٠.

(٣) الكامل: ١/١٥٦.

على زيادة الباء كما في قوله تعالى: ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾[المؤمنون:٢٠] وقوله: **العدول عن المصدر إلى اسم المفعول** [الإنسان: ٦]. وقال بعض نحويِّي الكوفة: المفتون هاهنا بمعنى: الجنون، وهو في مذهبٍ الفتون، كما قالوا: ليس له معقول رأيٍ[١]. وذكر الفراء أنَّ الباء قد تكون بمعنى في، والمعنى على ذلك: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون؛ أبالفرقة التي أنت فيها من المؤمنين أم بالفرقة الأخرى[٢]. وقيل: في الكلام مضاف محذوف، والمعنى على ذلك: بأيكم فتنة المفتون[٣].

والمتأمل في أقوال العلماء السابقة يجدها مبنية على أحد أمرين: إما على اعتبار أن اسم المفعول "**الْمَفْتُونُ**" على بابه، وأن المراد منه دلالته الوضعية وهي: المفتون الذي فُتِنَ بالجنون، وهذا ما يترتب على القول بزيادة حرف الباء، أو أنها بمعنى في، أو أنَّ في الكلام مضافا محذوفا. أو على اعتبار أنَّ اسم المفعول "**الْمَفْتُونُ**" محمول على معنى المصدر وهذا ما يترتب على القول بأن الباء أصلية لا زائدة؛ فيكون "**الْمَفْتُونُ**" بمعنى "الفُتُون" أو"الفتنة"، أي الجنون، كالمعقول بمعنى العقل، والمجلود بمعنى الجلد، والميسور بمعنى اليسر، والمعسور بمعنى العسر.

وإذا سلمنا بأنَّ اسم المفعول في الآية على بابه وأنَّ المراد منه دلالته الوضعية لم يكن لوقفتنا أمام هذه الآية من جدوى، وإنْ جعلنا اسم المفعول

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء:١٧٣/٣، و جامع البيان عن تأويل آي القرآن:١٥٤/٢٣، والجامع لأحكام القرآن:١٤٤/٢١.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء:١٧٣/٣.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن:١٤٥/٢١.

محمولا على معنى المصدر فلم يكن بُدٌّ من السؤال: ولِمَ عدل الأسلوب القرآني عن صيغة المصدر إلى صيغة اسم المفعول في الآية؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بدَّ من الوقوف أمام السياق الذي وردت فيه هذه الآية. فقد جاءت هذه الآية في سياق اتهام المشركين للنبي (ﷺ) بالجنون، والمتأمل سياق الآيات من أولها يجده مؤكدا على نَفْيِ ذلك الاتهام وتنزيه النبي (ﷺ) عن كل ما رُمِي به باطلا؛ فقال تعالى: ﴿ **مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ** ﴾[القلم: ٢]، وتأتي هذه الآية جوابا لِقَسَمٍ مقدَّمٍ مشتملةً على تكذيبٍ ونَفْيٍ وإثباتٍ، أما التكذيب فهو لمشركي قريش الذين قالوا للنبي (ﷺ): ﴿ **إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ﴾[الحجر: ٦]، وأما النفي فهو لتلك الصفة المفتراة من المشركين، والتي لا تتسق مع نعمة الله على نَبِيِّهِ الذي اصطفاه وقَرَّبَهُ ونَسَبَهُ إليه، وأما الإثبات فهو لرجاحة عقل النبي (ﷺ) التي شهد لها قومه حينما حكَّمُوه بينهم في رفع الحجر الأسود قبل النبوة بأعوام كثيرة. ويأتي السياق بعد ذلك مُطَمْئِنًا لقلب النبي (ﷺ) ومُبَشِّرًا له بالثواب العظيم على ما تَحَمَّلَهُ من أثقال النبوة، وأعباء الدعوة، وإيذاء المشركين له، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** ﴾[القلم: ٣]، ثم بالثناء عليه لاجتماع مكارم الأخلاق فيه وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤]، ثم يخبر الله نَبِيَّهُ بعد ذلك بأنك سترى يا محمد ويرى مشركو قومك الذين يتهمونك بالجنون ﴿ **بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ** ﴾، أي بأيكم الفتون (الجنون)، وذلك على إرادة معنى المصدر بصيغة اسم المفعول؛ لأن في المصدر دلالة على الشمول لم تصحب التعبير باسم المفعول، ومن ثم يدل المصدر على أن الجنون لم يكن مقصورا على واحدٍ بعينه من المشركين، بل شملهم كلهم لاعتقادهم ذلك الاعتقاد الباطل، وهذا تعريض بأبي جهل، والوليد بن المغيرة،

وكل من تبعهما من العامة الذين طعنوا في النبي (ﷺ). ولو كان المراد هو المعنى الدلالي الوضعي المصحوب لصيغة اسم المفعول "**الْمَفْتُون**" لَأَوْهَمَ ذلك بتوجيه الجنون إلى واحد بعينه من الكفار دون مَنْ تَبِعَهُ منهم، ربما يكون هو من بادر بإلقاء هذا الاتهام على النبي (ﷺ)، ولَأَوْحَى ذلك بتبرئة التابعين من هذا الطعن.

وربما يسأل سائل: وَلِمَ لَمْ يكن التعبير القرآني مؤثرا للمصدر على اسم المفعول من أول وضعه، فيكون: "بأيكم الفتون" بدلا من ﴿ **بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ** ﴾؟ وجواب ذلك أنَّ المصدر يدل على الحدث مطلقا ومجردا ممن يقع منه أو يقع عليه، أما اسم المفعول فمن شأنه تسليط الضوء على الحدث مرتبطا بمن يقع عليه؛ فإذا ما علم القارئ أنَّ هذا الحدث قد حاول المشركون نِسْبَتَهُ إلى النبي (ﷺ) ازدادت الصورة بشاعة، وازدادت فداحة الجُرْمِ الذي وقع فيه أولئك المشركون بهذا الاتهام؛ ومن ثم يبقى الذهن مع هذه الصيغة "**الْمَفْتُون**" متعلقا بنفي هذا الحدث (الفتون) عن النبي (ﷺ) وإثباته للمشركين الذين اتهموه به.

وهكذا تتضح لنا براعة القرآن الكريم في اختيار مفرداته على الوجه الذي لا يمكن معه استبدال غيرها بها.

المبحث الثالث

الإتيان بالمصدر على لفظ صيغة المبالغة

قد يشترك بناء المصدر مع بناء صيغة المبالغة، وذلك إذا جاء المصدر على "فعيل"؛ إذ إنَّ صيغة "فعيل" من الصيغ التي يأتي عليها المصدر، وأغلب ما يكون ذلك في الأصوات نحو: الضجيج، والنئيم[١]، والصهيل، والزئير[٢]. وفي الوقت ذاته هي إحدى صيغ المبالغة التي تدل على المبالغة في الحدث بشرط تحويلها من "فاعل". وقد دلَّ على ذلك كلام سيبويه عند حديثه عن صيغ المبالغة في قوله: "وأجروا اسم الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر، مُجراه إذا كان على بناء فاعل، لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلا أنه يريد أن يُحَدِّثَ عن المبالغة. فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى: فَعُولٌ، وفعَّالٌ، ومفعالٌ، وفَعِل. وقد جاء: فعيلٌ كرحيمٍ وعليمٍ وقديرٍ وسميعٍ وبصيرٍ"[٣].

وقد تنتقل "فعيل" من الدلالة على المبالغة إلى الدلالة على الثبوت، وتكتسب هذه الدلالة من فعلها اللازم ذي الحقل الدلالي المتصل بأفعال الطبائع والخِلْقَةِ كبخيلٍ وكريمٍ وطويلٍ وقصيرٍ. وقد تدل صيغة "فعيل" على أمرٍ مُكْتَسَبٍ بالتكرار والممارسة حتى أصبح سَجِيَّةً في صاحبه أو كالسَّجِيَّةِ، كخطيبٍ وبليغٍ وفقيهٍ؛ إذ إنَّ هذه الصفات كالطبيعة في صاحبها ومع ذلك فهي لا ترقى إلى

---

(١) النئيم: صوتٌ فيه ضَعْفٌ كَالْأَنِينِ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢/١٤١٨هـ=١٩٩٧م، (نأم).

(٢) انظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١/١٥٥، والحملاوي، الشيخ أحمد، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: د. مصطفى أحمد عبد العليم، مكتبة المعارف، الرياض، ط١/١٤٢٢هـ=٢٠٠١م، ص٦١.

(٣) الكتاب: ١/١١٠.

درجة الثبوت في طويل وقصير[1]. ومن ثم فإنَّ لصيغة "فعيل" معنيين دلاليين مرتبطين بها: أحدهما، الدلالة على الأوصاف الثابتة والخصال الملازمة لأصحابها، والثاني، المبالغة في الحدث وتكراره من صاحبه حتى يصير كالسجية فيه.

وقد يُعدَل عن "فاعل" إلى "فعيل" كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾[مريم: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ **وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ** ﴾ [التين: ٣]. وقد يُعدل عن "مفعول" إليها كقوله تعالى : ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [آل عمران: ٣٦]. وقد يُعدل عن "مُفْعَل" إليها كقوله تعالى: ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ [الدخان: ٤]، وقد يُعدل عن "مُفْعِل" إليها كقوله تعالى: ﴿ **يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [الدخان: ١١]، وقد يُعدَل عن مُفاعِل إليها كجليس وسمير بمعنى مُجالِس ومُسَامِر؛ وكل ذلك لا يكون إلا لضربٍ مقصودٍ من المبالغة.

وقد يُعدَل عن المصدر إلى صيغة المبالغة " فعيل " كقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ** ﴾ [يس: ٤٣]؛ فالصريخ "فعيل" من صَرَخَ يَصْرُخُ صُرَاخًا، والصريخُ يكون فعيلًا بمعنى مُفْعِل، مثل: نذير بمعنى مُنْذِر، وسميع بمعنى مُسْمِع، والصريخ: المغيث، والصريخ: المستغيث أيضا[2]؛ قال أبو الطَّيِّب: "ومن الأضداد الصَّارِخُ والصَّرِيخُ. قال أبو حاتم:

---

(١) انظر: معاني الأبنية في العربية:٦١.

(٢) انظر: لسان العرب: (صرح).

الصَّرِيخُ الْمُسْتَغِيثُ، والصَّرِيخُ الْمُغِيثُ. ولم يَعرِف الصارخَ إلا بمعنى الْمُسْتَغِيث. وقال قُطْرُب وأبو عمرو: الصَّارِخُ والصَّرِيخُ الْمُسْتَغِيثُ، والصَّارِخُ والصَّرِيخُ الْمُغِيثُ. ويقال في مَثَلٍ للعرب: "عبدٌ صَرِيخُهُ أَمَةٌ"(١) أي مُغِيثُهُ؛ يُضْرَبُ للذَّلِيلِ يستعينُ بِمَنْ هو أذلُّ منه"(٢).

ومن هذه الدلالة اللغوية ذهب أغلب المفسرين إلى أنَّ "**صَرِيخَ**" في الآية بمعنى مغيث، والمعنى على ذلك: فلا مغيث لهم يمنعهم عن الغَرَقِ، وتفسير الصريخ بالمغيث مرويٌّ عن مجاهد وقتادة(٣). ولكن هناك من المفسرين من ذهب إلى أنَّ "**صَرِيخَ**" قد تكون بمعنى المصدر؛ قال الزمخشري: "﴿ **فَلَا صَرِيخَ** ﴾ لا مغيث، أو لا إغاثة؛ يقال: أتاهم الصريخ"(٤)، وقال الآلوسي: "... ويكون مصدرا كالصراخ ويتجوز به عن الإغاثة لأن المستغيث ينادي من يستغيث به فيصرخ له ويقول جاءك العون والنصر"(٥).

---

(١) انظر: الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ=١٩٥٥م، ٢/٥.

(٢) أبو الطيب، عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، الأضداد في كلام العرب، تحقيق: د. عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط٢/١٩٩٦م، ص٢٧٤.

(٣) انظر: الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (دت)، ٢٨/٢٣، وتفسير الفخر الرازي: ٨٢/٢٦، والجامع لأحكام القرآن: ٤٥٢/١٧.

(٤) الكشاف: ١٨٠/٥.

(٥) روح المعاني: ٢٨/٢٣.

والمتأمل في الآية يجدها واردة في سياق امتنان الله (ﷻ) على عباده بالنعم، إما على سبيل العِبْرَةِ؛ لأنَّ في الآيات اعتبارًا، أو على سبيل النعمة؛ لأنَّ في الآيات إنعامًا، أو على سبيل الإنذار؛ لأنَّ في الآيات إنذارًا[1]، وذلك ما يحتمله قوله تعالى: ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ** ﴾[يس: ٤١]، ثم يعلق الله (ﷻ) الإغراق بمحض مشيئته، وفي هذا إشعارٌ بأنه قد تكامل ما يستدعي إهلاكهم من معاصيهم ولم يبق إلا تَعَلُّقُ مشيئته تعالى به[2]، وعندئذ لا صريخ لهم ولا هم ينقذون.

وبهذه الصيغة "**صَرِيخ**" في هذا السياق نحن أمام ثلاثة أوجه: **<u>الوجه الأول،</u>** أنَّ "**صَرِيخَ**" بمعنى مغيث، من باب "فعيل" بمعنى "مُفْعِل" كنذيرٍ بمعنى مُنْذِرٍ وسَمِيعٍ بمعنى مُسْمِعٍ؛ وذلك للمبالغة، وهذا ما أكدته الدلالة المعجمية والصرفية للصيغة سابقا، وما أكده كذلك الاستعمال اللغوي؛ وعليه يكون النَّفْيُ الأول – في قوله تعالى: ﴿ **فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ** ﴾ – نفيًا للمغيث والمعين، ويكون النَّفْيُ الثاني نفيًا للنجاة بأنفسهم من هذا الغرق؛ أي لا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق، ولا هم يستطيعون النجاة بأنفسهم.

<u>والوجه الثاني</u>، أن تكون "**صَرِيخ**" بمعنى المستغيث، وهو ما أكده الاستعمال اللغوي أيضًا في الأضداد، وقاله أبو حاتم، وقطرب، وأبو عمرو، والمعنى على ذلك: لا يوجد بينهم مستغيث يكون قادرا على طلب العون والنجاة، وعليه يكون النَّفْيُ الأول نفيًا لوجود المستغيث بينهم، ويكون النَّفْيُ

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٥٢/١٧.

(٢) انظر: روح المعاني: ٢٨/٢٣.

الثاني نفيًا للنجاة بأنفسهم. ولذلك قال: ﴿ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴾، ولم يقل: فلا صريخ لهم ولا منقذ، على رغم اقتضاء النسق اللغوي لذلك بحكم قانون العطف الذي يتطلب تماثل الصيغ المعطوفة؛ لأنَّ في ذلك إمعانًا في سَلْبِ المقدرة الذاتية، الذي يترتب عليه الاستسلام المطلق للقدرة والإرادة الإلهية.

والوجه الثالث، هو أنْ تكون "**صَرِيخ**" بمعنى المصدر، وهو ما قاله بعض المفسرين دون تعليلٍ، مستندين في ذلك على أنَّ الغالب في الأصوات أنْ تأتي مصادرها على "فُعَال" و"فَعِيل"؛ قال الرضي: "والغالبُ في الأصْوَاتِ أيضا الْفُعَالُ بالضَّمِّ، كالصُّرَاخِ والْبُغَامِ[1] والْعُوَاءِ؛ ويأتي فيها كثيرًا فَعِيلٌ أيضًا، كالضَّجِيجِ والنَّئِيمِ والنَّهِيتِ[2]، وقد يَشْتَرِكَانِ، كالنَّهِيقِ والنُّهَاقِ، والنَّبِيحِ والنُّبَاحِ"[3]. والمعنى على ذلك: فلا صراخ لهم يتبعه أو يلزمه إنقاذ، أي لا صراخ لهم يدفع عنهم هذا الغرق، ولا هم يُنقذون بعد وقوعهم فيه، فيكون النَّفْيُ الأول بمثابة نَفْيِ السبب، والنَّفْيُ الثاني بمثابة نَفْيِ النتيجة. ولا شك في أنَّ المعنى على إرادة المصدر فيه مزيد من البيان لعذاب الله الواقع على هؤلاء القوم؛ وهو أنه – سبحانه – قد سلبهم قدرتهم على طلب الاستغاثة، وهذا أعلى مراتب العذاب؛ إذ يُعَذَّبُ العبد ولا يكون قادرًا على التعبير عما يُحيطُ به من

---

(١) بُغَامُ الظَّبْيَةِ: صَوْتُهَا. " بَغَمَتِ الظَّبْيَةُ تَبْغَمُ وتَبْغِمُ وتَبْغُمُ بُغَامًا وبُغُومًا ". لسان العرب: (بغم).

(٢) النَّهِيتُ والنّهاتُ: الصِّيَاحُ، وقيلَ: هُوَ مِثْلُ الزَّحِيرِ والطَّحِيرِ، وقيلَ: هُوَ الصَّوْتُ مِنَ الصَّدْرِ عِنْدَ المَشَقَّةِ. لسان العرب: (نهت).

(٣) شرح شافية ابن الحاجب: ١/١٥٥.

العذاب أو الاستغاثة منه، ومن ثم كانت النتيجة أنهم لا يُنقذون بغيرهم ولا بأنفسهم.

وهذه الأوجه الثلاثة ما كان لها أنْ تَتَكَشَّفَ لو آثر البيان القرآني استعمال المصدر المعدول عنه على صيغة المبالغة المعدول إليها؛ إذ إنَّ صيغة " فعيل " ذات دلالات متعددة قد تتجاوز دلالات التعبير بالمصدر، ومن خلال الاستدعاء السياقي للصيغ يُصرفُ الذهن إلى المعنى الدلالي الذي تُنتجه صيغة المصدر؛ وبهذا يتضح لنا أن قيمة العدول في الصيغ تكمن في استحضار الصيغة المعدول عنها، إذ لم يكن المعنى مقصورا على الصيغة الواردة في السياق فحسب؛ لأنَّ المعدول إليه غالبا ما يُؤْذِنُ بمعنى المعدول عنه، ويُنَبِّهُ إليه، وليس العكس.

المبحث الرابع

الإتيان بالصفة المشبهة على لفظ المصدر

من مظاهر العدول بين المصدر والمشتقات في القرآن الكريم العدول عن الصفة المشبهة إلى المصدر، أي الإتيان بالصفة المشبهة على لفظ المصدر، قال سيبويه: "وتقول: ماءٌ صَرًى، إنما تريد صَرٍ خفيفٌ إذا تغيَّر اللَّبنُ في الضَّرْعِ، وهو صَرًى. فتقول: هذا اللبنُ صَرًى وصَرٍ"(١). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾ [طه: ١٢٤]؛ فجاءت المعيشة موصوفة بالمصدر "**ضَنْكًا**"، وكان القياس أنْ توصف بالصفة المشبهة " ضنيك "؛ وذلك على أنَّ "فعيلا" بمعنى "مفعول"، وعندئذ يستوي فيه المذكر والمؤنث كَرَجُلٍ جريحٍ وامرأة جريح، أو " ضنيكة " على إلحاق التاء بها إتباعا للموصوف؛ كَصَفَةٍ ذَمِيمَةٍ، وَخَصْلَةٍ حَمِيدَةٍ. ولكنَّ النسق اللغوي للآية أبى إلا أنْ يكون بصيغة المصدر"**ضَنْكًا**"، وذلك لا يخلو من الدلالة. وللوصول إلى ذلك لا بد أنْ نقف على مفهوم الضَّنْك في اللغة أولا. قال ابن منظور: "الضَّنْكُ: الضِّيقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، ... وَمَعِيشَةٌ ضَنْكٌ ضَيِّقَةٌ. وَكُلُّ عَيْشٍ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ ضَنْكٌ، وَإِنْ كَانَ وَاسِعًا... قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الضَّنْكُ أَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الضِّيقُ وَالشِّدَّةُ... وَالضَّنْكُ: ضِيقُ الْعَيْشِ. وَكُلُّ مَا ضَاقَ فَهُوَ ضَنْكٌ. وَالضَّنِيكُ: الْعَيْشُ الضَّيِّقُ، وَالضَّنِيكُ الْمَقْطُوعُ... وَضَنُكَ الشَّيْءُ ضَنْكًا وَضَنَاكَةً

(١) الكتاب: ٤/٤٣.

وَضُنُوكَةً: ضَاقَ. وَضَنُكَ الرَّجُلُ ضَنَاكَةً فَهُوَ ضَنِيكٌ: ضَعُفَ فِي جِسْمِهِ وَرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ "[1].

وانطلق أهل التأويل من هذه الدلالة المعجمية، ويكاد يجمعهم الاتفاق على أنَّ المعيشة الضنك هي المعيشة الضيقة، ولكنهم اختلفوا في الموضع الذي جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره المعيشةَ الضنكَ[2]، وذلك على أقوال متقاربة، لا يُكَذِّبُ بعضُهَا بَعْضًا؛ فمنهم مَنْ صرَفَ هذا الضنك إلى الآخرة في جهنم، ومنهم مَنْ جعله في الدنيا وصرَفَهُ إلى معنى الحرام؛ لأنَّ الحرام وإنِ اتَّسَعَ فهو ضنكٌ، ومنهم مَنْ جعله في البَرْزَخِ والمقصود به عذاب القبر.

وذلك كله مما يَسَعُهُ التعبير بالمصدر الدال على مطلق الحدث، دون الصفة المشبهة التي تشبه اسم الفاعل في الدلالة على الحدث وصاحبه، لكنها تختلف عنه في اتصاف صاحبها بالحدث على معنى الثبوت[3]، أي اللزوم والاستمرار، لا على جهة الحدوث كما هو الحال في اسم الفاعل. ويبقى السؤال: لمَ عدل التعبير القرآني عن الصفة المشبهة إلى المصدر؟ وجواب ذلك ينطلق من الدلالة الصرفية للصيغتين: الصفة المشبهة، والمصدر؛ إذ إنَّ التعبير بالصفة المشبهة يسلط الضوء على الحدث مع اتصاف صاحبه به، وليس هذا هو المراد، أما التعبير بالمصدر فمن شأنه صرف الذهن إلى مطلق الحدث دون

---

(١) لسان العرب: (ضنك).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:١٦/١٩٢-١٩٦، والكشاف: ٤/١١٧، والبحر المحيط:٦/٢٦٥.

(٣) انظر: الرضي، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط٢/١٩٩٦م، ٣/٤٣١.

تقييده بشيء، فكأن المعيشة – على ذلك – ليست موصوفة بالضنك، وإنما صارت سببا له، ويكون وصفُها بالضنك على سبيل المبالغة، أي كأنها نفس الضنك، كما يُقال في السلطان: الموت بين شفتيه، يريدون بالموت ما يكون سببا للموت، كالأمر بالقتل ونحوه(١). فضلا عن الإيحاء الصوتي الذي يومئ إليه النسيج المُكَوِّنُ لصيغة المصدر "**ضَنْكًا**"؛ إذ يتألف من مقطعين صوتيين مقفلين – وذلك على اعتبار الوصل لا الوقف – يَدُلَّانِ على مدى الضِّيقِ الذي أحاط بأولئك المعرضين عن ذكر ربهم، وشدة إحكامه عليهم حتى تكاد تزهق أرواحهم منه.

(٢) انظر: روح المعاني: ٢٧٧/١٦.

المبحث الخامس

الإتيان بالمصدر على لفظ اسم التفضيل

من مظاهر العدول بين المصدر والمشتقات في القرآن الكريم العدول عن المصدر إلى اسم التفضيل، أي الإتيان بالمصدر على لفظ اسم التفضيل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى** ﴾[الأعلى: ٨]، و قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى** (٥) **وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى** (٦) **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** (٧) **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى** (٨) **وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى** (٩) **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** ﴾ [الليل: من ٥- ١٠]. فالْيُسْرَى تَأْنِيثُ الْأَيْسَرِ مِنَ الْأُمُورِ، وَالْعُسْرَى تأنيثُ الْأَعْسَرِ مِنَ الْأُمُورِ. وبالتأمل نجد أنَّ السياق اللغوي قد عَدَلَ في آية الأعلى وآيتي الليل عن التعبير بالمصدر إلى التعبير باسم التفضيل (اليسرى – العسرى). وقد قيل في قوله: "﴿ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾، أيْ لِلْأَمْرِ السَّهْلِ الَّذِي لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ. وَقَوْلُهُ (ﷻ): "**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**"، قَالُوا: الْعُسْرَى الْعَذَابُ وَالْأَمْرُ الْعَسِيرُ... وَالْعُسْرَةُ وَالْمَعْسَرَةُ وَالْمَعْسُرَةُ وَالْعُسْرَى: خِلَاف الْمَيْسَرَة. وَهِي الْأُمورُ الَّتِي تَعْسُرُ وَلا تَتَيَسَّرُ. وَالْيُسْرَى مَا اسْتَيْسَرَ مِنْهَا، "[1]، وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾[البقرة: ١٨٥].

والمتأمل في الآيات السابقة يجدها متباينة السياق؛ ففي آية البقرة يريد الله (ﷻ) أنْ يخففَ عن المؤمنين ويُسَهِّلَ عليهم بأنْ يرخصَ لهم في الإفطار في

(١) لسان العرب: (عسر).

حال المرض والسَّفَرِ، ولا يريد بهم الشدة والمشقة فيكلفهم صوم الشهر في هذه الأحوال. أما آية الأعلى فإنَّ المراد منها هو تهيئة النبي (ﷺ) لعمل الخير؛ وقد ذكر الطبري أن المعنى: "ونسهلك يا محمد لعمل الخير وهو اليسرى، واليسرى هو الفُعْلَى من الْيُسْرِ"(١). وأما اليسرى في آية الليل فهي العمل بما يرضاه الله من العبد في الدنيا ليوجبَ له به في الآخرة الجنةَ، وأما العسرى فهي العمل بما يكرهه الله ولا يرضاه(٢).

وعلى تباين السياق في الآيات السابقة فإنَّ الوجه في (اليسر – العسر – اليسرى – العسرى) هو عموم اللفظ في جميع أمور الدين، أي السهولة مقابل الشدة. ولما كان المراد هو عموم اللفظ في ما سبق عُبِّرَ بالمصدر الدال على هذا العموم في آية البقرة؛ إذ إنَّ المصدر يفيد ما لا يفيده غيره من الدلالة على مطلق الحدث. وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال مؤداه: ولمَ عدل البيان القرآني عن المصدر إلى اسم التفضيل في آية الأعلى وآيتي الليل؟ وجواب ذلك يكون من عدة وجوه:

أولًا: عَدَلَ البيان القرآني عن المصدر إلى اسم التفضيل في ما سبق لمراعاة نسق الفواصل في الآيات؛ فقد جاءت فواصل الآيات في سورتي الأعلى والليل منتهية بالألف؛ ومن ثم أسهمت الألف بدور فعَّال في تشكيل البنية الإيقاعية للفاصلة القرآنية في السورتين، فضلا عن دورها في تحقيق التماسك بين فواصل الآيات في كل سورة.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣١٧/٢٤.

(٢) انظر: السابق: ٤٦٦/٢٤، ٤٦٩.

ثانيًا: لم يكن اسم التفضيل في الآيات السابقة على بابه؛ إذ ليس المراد إبراز شيئين قد اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر فيها، لأنه قد يراد باسم التفضيل ثبوت الوصف من غير نظر إلى تفضيل؛ كقولهم: "الناقص والأشج أعدلا بني مروان"(١)، أي هما العادلان، ولا عدل في غيرهما.

ثالثًا: جاء اسم التفضيل (اليسرى) في سورة الأعلى غير مقيَّدٍ من الله (ﷻ) بموصوف معين، وعدم التقييد إطلاق، أي أنَّ النبي (ﷺ) قد هيأه الله – سبحانه – لعمل الخير المطلق.

رابعًا: جاءت الصفتان (اليسرى – العسرى) في آيتي الليل مطلقتين كذلك، والمتأمل السورة كلها يجدها مبنية على هذا الإطلاق؛ فلم يذكر ما الذي يغشاه الليل، ولا عن أي شيء تجلى النهار، ولا من وقع عليه الإعطاء والاتقاء، ولا من وقع منه البخل والاستغناء. والإطلاق المقصود هنا هو مطلق الصفات، لا مطلق الحدث؛ إذ لو كان المراد هو مطلق الحدث لعُبِّرَ عنه بالمصدر (اليسر – العسر)، ولكن المقصود – والله أعلم – هو مطلق الصفات التي تؤدي إلى (اليسرى)؛ فكل ما كانت عاقبته إلى يُسْرٍ وراحة وأمور محمودة فإنه من اليسرى، وكل ما كانت عاقبته إلى عسر ومشقة وتَعَبٍ فهو من العسرى؛ ومن ثم جاء الوصف باليسرى بمثابة الوصف لكل الطاعات، وكذلك جاء الوصف بالعسرى بمثابة الوصف لكل المعاصي.

---

(١) الناقص: هو يزيد بن الوليد، سمي بذلك لنقصه أرزاق الجند، والأشج: هو عمر بن عبد العزيز، لأنه كان به شجة في رأسه. انظر: الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (دت)، ٢٩٧/٣، وشذا العرف في فن الصرف: ص ٧٤.

خامسًا: دلَّت صيغتا (اليسرى والعسرى) – مع تعريفهما – على المبالغة المطلقة، أي المبالغة في الوصف بما لا مزيد عليه؛ وذلك من خلال انتهائهما بالمقطع المفتوح (را)، فضلا عن انتهاء هذا المقطع بالألف المدية، والألف من الحروف المتسعة لهواء الصوت، أي تحتاج إلى نفس طويل، وقد يحاكي ذلك مطلق الخير الذي هيأ اللهُ – سبحانه – نَبِيَّهُ (ﷺ) لِعَمَلِه، كما يحاكي في آيتي الليل الاستنهاضَ للمؤمنين والاستدراجَ لغيرهم، أما الاستنهاض فهو واضح في قوله تعالى: ﴿ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾ [الليل: ٧]؛ إذ إنَّ تَيْسِيرَ الْيُسْرَى للمؤمنين بمثابة الارتقاء لمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى. وأما الاستدراج فيُسْتَنْبَطُ من قوله تعالى: ﴿ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** ﴾ [الليل: ١٠]، ولم يكن التعبير " فَسَنُعَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى " على رغم أنَّ الآيات في السورة كلها مبنية على المقابلة؛ لأنَّ الإنسان حينما يعتاد فِعْلَ المعاصي يَسِيرُ لِلْعُسْرَى بلا تَكَلُّفٍ ومُجَاهَدَةٍ؛ إذ قد أَلِفَتْ نَفْسُهُ ارتكابَ المعاصي حتى صار ذلك أمرًا يسيرًا عليها غيرَ مُجْهِدٍ لها؛ ومن ثم جاء هذا التيسير بمثابة الاستدراج لمن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، وأصل الاستدراج " اغْتِرَارُ الْمُسْتَدْرَجِ بِلُطْفٍ مِنْ حَيْثُ يَرَى الْمُسْتَدْرَجُ أَنَّ الْمُسْتَدْرِجَ إِلَيْهِ مُحْسِنٌ، حَتَّى يُوَرِّطَهُ مَكْرُوهًا "[1].

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٠/٦٠٠،٦٠١.

الخَاتِمَة

بعد دراسة الأسلوب العدولي بين المصدر والمشتقات في القرآن الكريم، والوقوف على بعض الآيات بالتحليل تبيَّن لي ما يأتي:

١- جاء العدول بين المصدر والمشتقات في القرآن الكريم إما لمراعاة المعنى الدلالي، أو لمراعاة المعنى التداولي، أو لمراعاة الدلالة الإيقاعية.

٢- كثرة الإتيان بالفاعل على لفظ المصدر؛ بهدف خلوص المعنى إلى المصدرية؛ وذلك لضرب من المبالغة، وكان ورود ذلك في القرآن الكريم أكثر من الإتيان بالمصدر على لفظ الفاعل.

٣- ورد العدول عن اسم الفاعل إلى المصدر في القرآن الكريم في نمطين: **الأول:** أن يُؤْتَى بالفاعل على لفظ المصدر. **والثاني:** أنْ يَعْدِلَ السياق اللغوي عن التعبير باسمِ فاعلٍ مُقَدَّمٍ إلى التعبير بالمصدر.

٤- جاء العدول عن اسم المفعول إلى المصدر في القرآن الكريم في نمطين: **الأول:** أن يُؤتَى باسم المفعول على لفظ المصدر، **والثاني:** أنْ يَعْدِلَ السياق اللغوي عن التعبير باسم مفعول مُقَدَّمٍ إلى التعبير بالمصدر.

٥- ورد العدول عن اسم المفعول إلى المصدر في القرآن الكريم أكثر من العدول عن المصدر إلى اسم المفعول.

٦- لم يكن المعنى مقصورا في العدول بين المصدر والمشتقات على الصيغة الواردة في السياق فحسب؛ لأن الصيغة المعدول إليها كثيرا ما تأتي مؤذنة بمعنى الصيغة المعدول عنها ومنبِّهة إليه، وهو ما يؤكد تلاحم المعدول إليه مع المعدول عنه في إبراز المعنى.

ثبت بمواضع العدول بين المصدر والمشتقات في القرآن الكريم

الموضع	السورة	رقم الآية	طرفا العدول [المعدول عنه- المعدول إليه]
﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	البقرة	٩٧	اسم الفاعل– المصدر
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾	البقرة	١٨٧	اسم الفاعل– المصدر
﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾	البقرة	١٩٦	اسم المفعول – المصدر
﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾	البقرة	٢٠٥	اسم المفعول – المصدر
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾	البقرة	٢١٦	اسم المفعول – المصدر
﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾	البقرة	٢٢٣	اسم المفعول – المصدر
﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾	البقرة	٢٦٠	اسم الفاعل – المصدر
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾	آل عمران	٩٦	اسم المفعول – المصدر
﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ	النساء	١٧	الصفة المشبهة –

يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾			المصدر
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾	النساء	٣٠	اسم الفاعل – المصدر
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾	النساء	٩٢–٩٣	المصدر – اسم الفاعل
﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ	النساء	١٠٣	اسم الفاعل – المصدر

قِيَامًا وَقُعُودًا﴾			
﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾	المائدة	١٣	المصدر – اسم الفاعل
﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾	المائدة	٣٣	اسم الفاعل – المصدر
﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾	المائدة	٤٦	اسم الفاعل – المصدر
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾	الأنعام	٩٣	اسم الفاعل – المصدر
﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾	الأنعام	٩٦	اسم المفعول – المصدر
﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	الأعراف	٣٨	اسم المفعول – المصدر
﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	الأعراف	٥٦	اسم الفاعل – المصدر
﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾	الأعراف	١٤٣	اسم المفعول – المصدر

﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	الأعراف	١٧٦	اسم المفعول – المصدر
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾	الأنفال	١٥	اسم الفاعل – المصدر
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾	الأنفال	٢٨	اسم الفاعل – المصدر
﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ﴾	التوبة	٥٣	اسم الفاعل – المصدر
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾	يونس	٤	اسم المفعول – المصدر
﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾	يوسف	١٨	اسم المفعول – المصدر
﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾	يوسف	٢٠	اسم المفعول – المصدر
﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾	يوسف	٤٧	اسم الفاعل – المصدر
﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾	يوسف	٨٠	اسم الفاعل – المصدر

﴿قَالُوا تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾	يوسف	٨٥	الصفة المشبهة – المصدر
﴿وَلِلَّه يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾	الرعد	١٥	اسم الفاعل – المصدر
﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾	إبراهيم	٢١	اسم الفاعل – المصدر
﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾	الإسراء	٣٧	الصفة المشبهة – المصدر
﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾	الإسراء	٧٥	اسم المفعول – المصدر
﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾	الكهف	٩	الصفة المشبهة – المصدر
﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾	الكهف	٤٠	اسم الفاعل – المصدر
﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾	الكهف	٤١	اسم الفاعل – المصدر
﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾	الكهف	٧٤	اسم المفعول – المصدر
﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾	الكهف	٨٧	اسم المفعول – المصدر

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾	طه	١٠	اسم الفاعل – المصدر
﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾	طه	٣٦	اسم المفعول – المصدر
﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾	طه	٧٧	اسم الفاعل – المصدر
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾	طه	١٢٤	الصفة المشبهة – المصدر
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾	الأنبياء	٩٠	اسم الفاعل – المصدر
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾	الفرقان	٦٣	الصفة المشبهة – المصدر
﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	النمل	٢٥	اسم المفعول – المصدر
﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾	لقمان	١١	اسم المفعول – المصدر
﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	السجدة	١٦	اسم الفاعل – المصدر
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾	سبأ	٧	المصدر – اسم المفعول

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾	سبأ	١٩	المصدر – اسم المفعول
﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾	سبأ	٣٧	اسم المفعول – المصدر
﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾	يس	٤٣	المصدر – صيغة المبالغة
﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾	ص	٣٣	اسم الفاعل – المصدر
﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾	ص	٦١	اسم المفعول – المصدر
﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ﴾	الزمر	٢٩	اسم الفاعل – المصدر
﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	الزمر	٦٧	اسم المفعول – المصدر
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾	غافر	١٩	المصدر – اسم الفاعل
﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾	غافر	٤٧	اسم الفاعل – المصدر
﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ	فصلت	١١	اسم الفاعل – المصدر

﴿دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾			
﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾	الدخان	٢٤	اسم الفاعل – المصدر
﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾	النجم	٣١	المصدر – اسم التفضيل
﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾	النجم	٥٨	المصدر – اسم الفاعل
﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾	القمر	٤	المصدر – اسم المفعول
﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾	الرحمن	٥٤	اسم المفعول – المصدر
﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾	الواقعة	٢	اسم الفاعل – المصدر
﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾	الطلاق	٨	اسم المفعول – المصدر
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾	الملك	٣٠	اسم الفاعل – المصدر
﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾	القلم	٦	المصدر – اسم المفعول
﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾	الحاقة	٥	المصدر – اسم الفاعل
﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾	الحاقة	٨	المصدر – اسم الفاعل

﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾	الجن	١	الصفة المشبهة – المصدر
﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾	الجن	١٧	اسم الفاعل – المصدر
﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾	النبأ	٢٦	اسم الفاعل – المصدر
﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾	الغاشية	١١	المصدر – اسم الفاعل
﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾	الليل	٧	المصدر – اسم التفضيل
﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾	الليل	١٠	المصدر – اسم التفضيل
﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	الإخلاص	٢	اسم المفعول – المصدر
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾	الفلق	١	اسم المفعول – المصدر

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،(دت).

٣- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

٤- أبو الطيب، عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، الأضداد في كلام العرب، تحقيق: د. عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط٢/١٩٩٦م.

٥- الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

٦- الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (دت).

٧- جبر، د. محمد عبد الله، الأسلوب والنحو، دار الدعوة، ط١/١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.

٨- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥/٢٠٠٤م.

٩- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (دت).
١٠- حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط١/ ١٩٩٢م.
١١- الحملاوي، الشيخ أحمد، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: د. مصطفى أحمد عبد العليم، مكتبة المعارف، الرياض، ط١/١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
١٢- الخنساء، ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت، ١٩٨٣هـ=١٩٦٣م.
١٣- الرازي، الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١/١٤٠١هـ=١٩٨١م.
١٤- الرضي، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي،
- شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط٢/١٩٩٦م.
- شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
١٥- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١/١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
١٦- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق الشيخين: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط١/١٤١٨هـ=١٩٨٨م.

١٧- السامرائي، د. فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، ط٢/١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

١٨- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣/١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

١٩- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢/١٤٠٢ه=١٩٨٢م.

٢٠- الشايب، أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، ط٨/١٤١١هـ=١٩٩١م.

٢١- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط٢/١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

٢٢- الصَّيْمَرِيّ، أبو محمد بن عبد الله بن علي بن إسحاق، التبصرة والتذكرة، تحقيق: د. فتحي أحمد مصطفى علي الدين، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

٢٣- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١/١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

٢٤- عبد اللطيف، د. محمد حماسة، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، ط١/١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

٢٥- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، تحقيق: صلاح الدين عبد الله الشيكاوي، مطبعة العاني، بغداد، (دت).

٢٦- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣/١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
٢٧- الفرزدق، ديوان الفرزدق، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
٢٨- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، =ط١/١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.
٢٩- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط٣/١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
٣٠- مشري، عبد الناصر، العدول الصرفي تواضع جديد، مجلة الأثر، العدد ١٣، مارس ٢٠١٢م.
٣١- مصلوح، د. سعد عبد العزيز، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، ط٣/١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
٣٢- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢/١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
٣٣- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ=١٩٥٥م.
٣٤- النحاس، الإمام أبو جعفر، معاني القرآن الكريم، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، طبعة جامعة أم القرى، ط١/١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
٣٥- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، (دت).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١١١٧
المقدمة	١١١٧
التمهيد	١١٢٠
أولا: مفهوم الأسلوب العدولي	١١٢٠
ثانيا: أسباب القول بالعدول	١١٢٢
المبحث الأول: العدول بين المصدر واسم الفاعل	١١٢٤
أولًا: العدول عن اسم الفاعل إلى المصدر	١١٢٤
ثانيا: العدول عن المصدر إلى اسم الفاعل	١١٣٣
المبحث الثاني: العدول بين المصدر واسم المفعول	١١٤٠
أولًا: العدول عن اسم المفعول إلى المصدر	١١٤٠
ثانيًا: العدول عن المصدر إلى اسم المفعول	١١٤٥
المبحث الثالث: الإتيان بالمصدر على لفظ صيغة المبالغة	١١٥٠
المبحث الرابع: الإتيان بالصفة المشبهة على لفظ المصدر	١١٥٦
المبحث الخامس: الإتيان بالمصدر على لفظ اسم التفضيل	١١٥٩
الخاتمة	١١٦٣
ثبت بمواضع العدول بين المصدر والمشتقات في القرآن الكريم	١١٦٤
المصادر والمراجع	١١٧٣
فهرس الموضوعات	١١٧٧